وشعار الحركتين هو العودة الى تمييز العصور الوسطى ، اي ان تجمع كل الغيتوات المنتشرة في العالم في رقعة واحدة ٠

ويدحض توينبي الفرضية التي تقوم عليها الصهيونية ، فعملية التحرر لم يثبت فشلها ، ولم يبد يهود الغرب ـ على الجانبين الاوروبي والامريكي من الاطلسي ـ رغبتهم في ترك مواطنهم ٠ ويرى ان المحاولة الصهيونية لحل المشكلة تشترك مع المحاولة الوسطية : فهدف الصهيونية محاولة اثبات ان المجتمع اليهودي هو مجتمع عرقي اساسا سواء كان طائفة دينية ام لم يكن ٠

لقد وضع الصهيونيون من اليهود الغربيين انفسهم امام خيارين : فهدفهم النظري منح اليهود بلدا ـ اي بلد ـ يكون يهوديا تماما ، كما هي انجلترا انجليزية ، وذلك باستيطان ارض لا يملكها احد في هذا العالم الواسع على نهج المشاريع الغربية الاستيطانية ، والخيار الثاني ان يعاد توطين اليهود في اجزاء من فلسطين كما كانت قبل ١٣٥ م ٠ والبرنامج الثاني تكتنفه مصاعب مادية ومعنوية ، اذ ان اعادة توطين اليهود في اجزاء من فلسطين كما كان قبل العام ١٣٥ م ، لن يكون الا على حساب شعب سبق وجوده في البلد ٠ وحتى لو اهملنا الفترة التي عاشها هذا الشعب قبل قدوم اليهود ، او افترضنا ان سكان فلسطين بعد ١٣٥ م لم يكن بينهم اي عنصر سابق للقرن الثاني الميلادي بسبب التغيير الجذري في تركيب السكان بعد قمع الثورة اليهودية ، تظل فترة استيطان هؤلاء السكان في موطنهم الاصلي اطول من فترة استيطان بني اسرائيل ويهودا في اجزاء من فلسطين ٠ وقبل ان يبدأ هرتزل حركته الصهيونية ، كان قد انقضى على وجود السكان في فلسطين فترة تزيد على سبعة عشر قرنا ونصف على الاقل ٠

وتصور توينبي لو ان كل الشعوب القديمة تسعى لفرض ادعاءاتها في العصر الحديث فلن تتوقف عملية توزيع الاقاليم واستئصال الشعوب في انحاء العالم ٠

نقد الممارسة الصهيونية

يوجه توينبي سلسلة من الانتقادات للحركة الصهيونية بعد ان انتقلت الى مرحلة التطبيق وافصحت في كل خطوة عن طموحات لا حد لها : « فقد عمل الصهيونيون على تغيير كل الصفات اليهودية المتميزة التي احتفظوا بها في حياة الشتات التقليدية ، فقاموا بحماس وتحد بالغين بتحويل انفسهم الى العمل اليدوي بدلا من العمل الذهني ، وان يصبحوا سكان ريف بدل سكان مدن ، ومنتجين بدل طبقة وسطى ومزارعين بدل رجال مال ، محاربين بدل اصحاب دكاكين ، ارهابيين بدل شهداء ، ساميين بروح عدوانية بدل آريين مسالمين ٠